تأثير الإسلام فى الشعر

لقد جاء الإسلام بالجِد الذى لم يعرفه العرب ، فشغلوا أوقاتهم فى تحصيل الدين،ونشر تعاليم ،وابطال كثير من عادات الجاهلية وأباطيلها وحرم عليهم الكذب،واشاعة الفاحشة فى الناس،وقذف المحصنات كما قضى على العصبية التى بددت شملهم،وفرقت جمعهم،فكان لهذا أثر فى تعطيل آلة الشعر،وتغيير نغمتها،وفتور كثير من الاغراض القديمة،كتأريث العداوات،وذكر العورات، والوقوع فى الاعراض والفخر الكاذب والهجاء المقذع .

كما كان للقرآن – وهو فى الذروة- من الفصاحة والبلاغة أثر فى انبهار كثير من الشعراء حتى بلغ ببعضهم أن انقطع عن قول الشعر " كَلَبِيد " وهو فَحْل من فحول الجاهلية وروى أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، **وهو:**

الحَمْدُ للهِ إذْ لم يأْتِنى أَجَلِى حتَّى كَسَانِي مِنَ الإسلامِ سِرْبالاَ

ومن حديث " لَبِيد " أن " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه أرسل الى عاملة على " البصرة " أن أرسل " لبيد والأغلب " ما أحدثنا فى الإسلام ؟

فقال الأغلب :

أرجزاً تريد أم قصيدَا لقد سألتَ هيّنا موجودا

وقال لبيد : قد أبدلنى الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر فى عطائه ، فبلغ به ألفين،فلما ولى " معاوية " قال :أو تدعنى قليلاً ثم تضم عطائي الى عطائك فتأخذ العطاءين جميعا ؟

وأما من لم ينقطع عن قول الشعر ، فقد تركت فيه مفاجأة القرآن أثراً من الضعف ، كما تقدم الكلام فى " حسان " .

ونستطيع بعد ذلك أن ندلى بعض أمثلة كان الشعراء فيها متأثرين بأسلوب القرآن سالكين نهجهم ، **فالقرآن يقول:**

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤].

ويقول : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]

أخذ الأول " حسان " فقال فى الرد على " ابى سفيان " حين هجا النبي (ﷺ) :

هَجَوْتَ مُحَمّداً وَأَجَبْتَ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكاً بَرّا حَنِيفاً ... أَمِينَ اللّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟

وأخذ الثاني أيضا فى رثاء رسول الله (ﷺ) فقال :

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنْ الْهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنَى جَنَاحُهُ ... إلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النّورِ إذْ غَدَا ... إلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنْ الْمَوْتِ مُقْصِدُ

والقرآن يقول : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد:١٦]

و يقول : ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤]

أخذ الاول " حسان " فقال :

وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلالُ قَوْمٍ تَسَفّهُوا ... عِمَايَتَهُمْ هَادٍ بِهَا كُلّ مُهْتَدِ
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ إلَى أَهْلِ يَثْرِبِ ... رِكَابُ هُدًى حَلّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ

وأخذ الثاني " معن بن أوس " فقال :

فما زِلتُ فـي لِينـي لـه وتعطُفـي ... عليه كما تحنـو علـى الولَـدِ الأمُّ
وخَفْـضي لـه منـي الجنـاحَ تألّفـاً ... لتُدْنيَـهُ منـي القرابـةُ والـرِّحْمُ
وصَبْرِي على أشـياءَ منـه تَريبنـي ... وكَظْمي عن غيظي وقد ينفع الكَظْمُ

والقرآن يقول : ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾

[الحج:٦١]

أخذه " النابغة الجعدي " فقال :

الحمـدُ لله لا شريـكَ لَـهُ ... مَـنْ لـم يَقُلْهـا فنَفْـسَه ظلَمَـا
المُولِجِ اللَّيْلَ في النَّهَـارِ وفـي الـلَّ ... يْـلِ نَهَـاراً يُفَـرِّجُ الظُّلَمَـا
الخـافِضِ الرَّافِـعِ الـسَّمَاءَ علـى الْ ... أَرْضِ ولـم يَـبْنِ تَحْتَهَـا دِعَمَـا

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، ولاسيما فى أشعار " حسان " وعبد الله بن رواحه وأمية بن أبى الصلت ، وغيرهم ممن كانت له نزعة إلى الدين :

قال " عبد الله بن رواحة " :

شـهدت بـأن وعـد الله حـق ... وأن النـار مثـوى الكافرينـا
وأن العـرش فـوق المـاء حـق ... وفـوق العـرش رب العالمينـا
وتحملـه ملائكـة غـلاظ ... ملائكـة الإلـه مـسومينـا

كما نجد أن الشعر فى صدر الإسلام قد بدأ فى روحه ومعانية مملوءاً بالتقوى والورع ، وذَكَر البعث والجنة والنار.

يقول " بجير " أخو " كعب بن زهير " :

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَـلْ لَـك فِـي الّتِـي ... تَلُومُ عَلَيْهَا بَـاطِلاً وَهِـيَ أَحْـزَمُ
إلَى اللّهِ(لَا الْعُزّى ولَـا اللّـاتِ)وَحْـدَهُ ... فَتَنْجُـو إذَا كَـانَ النّجَـاءُ وَتَـسْلَمُ
لَدَى يَوْمِ لَـا يَنْجُـو ولَـيْسَ بِمُفْلِـتٍ ... مِنْ النّاسِ إلّا طَاهِرُ الْقَلْـبِ مُـسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَـيْءَ دِينُـهُ ... وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَـيّ مُحَـرّمُ

ويقول أبو ذؤيب الهذلى :

أبـــا عُبَيـــد رُفـــع الكتـــابُ واقتـــرب الموعـــد والحـــسابُ

ويقول " كعب بن زهير " :

لَوْ كُنْت أَعْجَبُ مِنْ شَـيْءٍ لَـأَعْجَبَنِي سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَـهُ الْقَـدَرُ
يَسْعَى الْفَتَـى لِـأُمُورٍ لَـيْسَ يُـدْرِكُهَا فَالنّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمّ مُنْتَـشِـرُ
وَالْمَرْءُ مَا عَـاشَ مَمْـدُودٌ لَـهُ أَمَـلٌ لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتّى يَنْتَهِـي الْـأَثَرُ

أين هذا التصوير البارع لحقيقة القضاء والقدر من قول والده " زهير بن أبى سلمى " وهو من أحكم شعراء الجاهلية ، إذ يقول :

سئمت تكاليف الحيـاة ومـن يعـش ثمانين حـولاً لا أبـا لـك يـسأمِ
رأيت المنايا خبط عشواء من تـصب تمته ومن تخطـئ يعمَّـر فيهـرمِ

حتى الشعراء البعيدة نفوسهم عن تهذيب الذين ظهر التاثر فى شعرهم ، يقول " الحطيئة " :

ولـست أرى الـسعادة جمـع مـالٍ ولكـنّ التقـيّ هـو الـسعيد
وتقـوى اللّـه خيـر الـزاد ذخـراً وعنـد اللّـه للأتقـى مزيـد
ومـا لا بـدّ أن يـأتي قريـبٌ ولكـنّ الـذي يمـضي بعيـد

وقال الحطيئة ، وهو أحكم بيت بالإجماع :

مَن يَفْعَلِ الخَيـرَ لا يَعْـدَمْ جَـوَازِيَ لا يذهبُ العُرْف بـين الله والنـاسِ

وبعد،فقد يبدو للنظر السطحي أن يسرع تأثير القرآن الكريم فى الشعر فيبدو الشعر كله رقيقاً فى أساليبه،إسلامياً فى روحه ومعانية مع أن قسماً كبيراً من شعراء البداية الذين أسلموا مسايرةً للناس طوعاً أو كرهاً ظل شعرهم فى الإسلام كما هو فى الجاهلية فما سر تحقق سرعة التأثير ؟

لذلك أسباب :

١- منها ما أسلفنا أن الطفرة محال،وأن تجديد الشعر يستلزم دراسة القرآن وتعاليم الدين وتشربها،وطبع الملكات ، النفسية واللِّسانية بطابعها ، وذلك يحتاج الى وقت طويل،وهيهات أن يحدث ذلك فى شهور أو سنوات،لذلك سنلاحظ أن من المخضرمين من استمرت ملكاته جاهلية " كالحطيئة " ومنهم من ترك الشعر " كلبيد " ومنهم من اضطرب بين الملكتين حتى ضعف شعره " كحسان "

٢- ومنها أن تأثير القرآن الكريم المنتظر كان يقوم وقفاً على أولئك الذين اتصلوا بالرسول (ﷺ) ودرسوا القرآن الكريم وتفهموه وهم . أولا : قليل بالنسبة الى أولئك العرب الذين أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، أو هؤلاء البدو الذين تشبسوا بحياتهم ولزموا كثيراً من عاداتهم التى حاربها الرسول (ﷺ) وتبعه فى ذلك " عمر بن الخطاب " .

ثانياً ، على هؤلاء الأقربين الى الرسول (ﷺ) كما اسلفنا لم تسرع إلى نفوسهم وألسنتهم ملكات القرآن الكريم الأدبية فلم يظهر شعرهم الديني إلا على ألسنة الجيل الجديد،وأما " حسان " فمع أنه دعا الى الدين الجديد وتعلقه به لكن ملكته الدينية لم تكن فى قوة الطبع الشعرى القديم ، فكان هناك فرق بين ملكته القديمة والحديثة .

٣- ومنها أن هؤلاء الذين آمنوا بالقرآن مخلصين قد تلقوه على أنه نص قدسي معجز لا يمكن معارضته ، فكان القرآن مثلاً أعلى لا يطمع أحد فى تقليده ، فاستغنوا به عن قول الشعر كما حدث " للبيد " .

تطور النثر فى عصر البعثة

تعريف النثر :

قبل الكلام فى هذا الموضوع يجب أن نعرف كلمة نثر ما هى ؟وماذا يراد منها فى هذا البحث ؟ أَمَعْنَاها المراد هنا اللغوي،أي كل كلام منثور لم يتقيد بوزن ولا قافية،مهما يكن لفظه صحيحا جميلا أو لا،ومهما يكن معناه قيماًأو لا؟

أم معناه الاصطلاحي هو المقصود منه حين يطبق فى باب الأدب،ويراد به الكلام المنثور المتميز بميزتين :

المعنى القديم ، واللفظ الصحيح الجميل .

واذا كان المعنى الثانى هو المراد فهل نقف به عند ذلك النوع الأدبي أو الفني الذى يشبه الشعر فى أن كلا منها يرمى الى التأثير ويقصد الى اثارة الشعور، أو يتناول أيضا ذلك النثر العلمى ، الذى يرمى الى التثقيف والتعليم ، كالفلسفة والدين والتاريخ والنقد،وإن لم يَخْلُ من عاطفةٍ وإحساس .

أنواعه :

ومعنى ذلك أن عندنا أنواعاً من النثر ، ثلاثة هى :

١- المحادثة

٢- النثر الفني

٣- النثر العلمي

(١) المحادثة : -

قد جرى الباحثون على إخراج المحادثة من باب الأدب لأنها كلام عادى مكرور لا يستأهل التسجيل والدروس،ولفقدانه جمال العبارة وصحتها أحياناً،ثم قيمة المعنى،ولكننا بإزاء العصر الاسلامي المسبوق بالعصر الجاهلي يجب أن تقف

قليلاً لنلاحظ أن هذه المحادثة،فيما يظهر – كانت صحيحة العبارة خاليةً من الخطأ واللَّحن . إذ هى الصورة اللغوية الأولى التى كانت مقياس النثر، وعنها وضعت قواعد النحو، ونحن لا اعتراض لنا من الناحية اللَّفظية الصحيحة ، **ولكننا نسال بعد ذلك** : ألم تكن هذه اللغة حواراً أحياناً ، وحكمه وأمثالا وعبارات متميزة فى معانيها فوق صحة ألفاظها أحياناً؟

وإذاً فما يمنع أن يكون هذا الحوار أو الحديث أدباً ؟

الحق أنه لا فرق بين هذا الحوار الذى كان وبين الحوار الذى تهيأ الآن فى لغة صحيحة،ويدور حول مسائل اجتماعية أو وصفية أو غير ذلك ، وغاية ما نريد إثباته أن المحادثة الإسلامية (وقبلها المحادثة الجاهلية) كانت أقرب الى اللغة الأدبية من محادثاتنا الآن فقد كان للعرب مجالس سمر، وقصص وحوار ومشاورات تعقد فى الليل وسط الحى أو بين الأحياء يتناول فيها القوم شئون الحياة ، وأخبار الماضى والحاضر يغذون بها أبناءهم ، ويرفهون بها أنفسهم ، وكثيراً ما يشترك فيها النساء ، فكانت أشبة شيء بالمجالس أو المنتديات الأدبية ولو قد حققوا لنا التاريخ صوراً منها إفادتنا كثيراً فى تصوير الحياة الاجتماعية لهذا الشعب العتيق.

على أن محادثات الرسول (ﷺ) وأصحابه (وقد بقى منها شيء كثير) **تعرض علينا صورة لهذه المحادثة :**

١- فى قريش ،

٢- وفى آخر العصر الجاهلي ،

وهى صورة تقريبية على أية حال فقد ظهر الإسلام والرسول (ﷺ)يتحدث لغة قرشية فصيحه،وهى لغته قبل القرآن وهى كذلك لغة الحديث الجاهلية

فى صياغتها النحوية،بقيت كذلك من ناحية الصياغة العامة لم تتغير،فكانت أحاديث الرسول (ﷺ) صورةً للغة التخاطب الجاهلية ولا يطعن فى ذلك ما قد يكون فى رواية الأحاديث من تغيير لأن التغيير لم يعم الأحاديث من جهة ولم يتناول عبارات كل حديث من جهة أخرى على أن هناك عبارات تروى على أنها من ابتكار الرسول(ﷺ) رويت بنصها مع جملة صالحة من الأحاديث الصحيحة،تصور لغة للحديث لا تختلف عن لغة القرآن الكريم فى الصياغة النحوية .

وكذلك القول فى لغات"أبى بكر،و عمر،وعثمان،و على،وسفيان ابن أمية " و غيرهم من آل الرسول (ﷺ) وقريش ممن كانوا يتناقشونه حول الإسلام .

ويحسن أن نلاحظ أنه فى صدر الإسلام لم يكن هناك فرق فى هذه الصياغة بين الحديث والخطابة والكتابة فهى كلها لغة طبيعية لا صنعة فيها ولا فن .

معنى ذلك أن لغة التخاطب فى صدر الإسلام هى لغة التخاطب فى الجاهلية وإن تغيرت معانيها وموضوعاتها،نستطيع إذا أن نُقَرِب إلى الاذهان لغة التخاطب والكتابة والقصص كما قلنا،وكم يلي التفصيل ، فهى قوية الاداء سليمة البناء،صحيحة الإعراب حتى على ألسنة الموالى الطّويلى المكث بينهم أما حديثوا العهد فى الإقامة منهم فقد كانوا يرتضحون لَكْنَــــه من لُغَــــتِهم الأولى لحبشية بلال،وفارسية سلمان،ورومية صهيب .

وعلى الجملة فكانت المحادثة العادية خالية من اللحن وإن بدا من بعضهم بعض اللحن فقد كان ينظر إليه نظرة استهجان له واستعظام لما صدر منه فقد روى أن رجلاً لحن بحضرة النبي(ﷺ)فقال:" أرشدوا أخاكم فقد ضل . ولذلك قيل :

إن العربي الفصيح لا يخطىء لأن الإعراب جزء من لهجته لا ينفصم عنها فهى هذه الفترة سليمة من الخطأ إلا إذا اختلطت الأمة السليمة فتسمى حينئذ لغة عامة أو شعبية لا تعد فى نظر النقاد أدبا لسببين :

الأول : معنوى وهو تفاهة المعاني أو تكرارها وعدم نباهتها وعدم امتيازها فلا تستحق العناية والتسجيل .

الثاني : لفظي وهو تعرضها للأخطاء وتجاوز أصول النحو والبيان وليس لدينا نصوص حاسمة لهذه اللغة العامة اذا لم تدون ولم يَحْكِها الرواة بالدقة فى عصر التدوين بعد ذلك فذهبت صورتها الدقيقة فى جنبات الصحراء .

(٢) النثر الفني

قبل أن نتقدم الى إيضاح النثر الفني فى هذه الفترة ينبغى أن نشير فى إيجاز شديد الى نشأة الحياة الفنية عامة والفرق بينهما وبين الحياة العلمية فى ذلك،وأول ذلك أن الحياة الفنية أسبق الى الوجود من الحياة العلمية إذ كانت الأولى تجارب ابتدائية وأخذا عن الطبيعة والحياة بشكل يشبه الاستقرار والتقليد ولكن الثانية تدوين لثمار هذه التجارب وإخضاعها لقوانين عامة تجمع شتاتها ، وتميز بين أنواعها وتردها إلى عللها العامة ومصادرها الأولى،فقد عرف الانسان الكوخ والدار قبل معرفته العمارة وهندستها،ووجدت الجزيرة قبل تعريفها الجغرافى . ونظم الشعراء قبل تدوين العروض،وأعجب الناس بألوان الطيف قبل تفسيره ،وهكذا نجد الفن يسبق ثم يكون أساساً لتكوين العلوم لذلك ترى أن الحياة الفنية يمكن أن تزدهر فى عصر البداوة ما دامت تعتقد فى الغالب على الشعور فيكبر الشعر والخطابة إلى الوجود بعد تكوين الجماعات ولكن الحياة العلمية لا

توجد إلا فى البيئات المستقرة والمدن القائمة لتيسر للعقل الهدوء والتفكير والموازنة والاستنباط والتجارب من التدوين،ومن هنا نرى التاريخ الاسلامي العام أن النثر العلمي تأخر فى الوجود وكذلك النثر الفني الذى يعتمد على التجود والصنعة وحسن التفكير ودقة التعليل :(الكتابة الانشائية) .

فالحياة الفنية سابقة على الحياة العلمية وكذلك الفنون كلها كالرسم والغناء والرقص والتمثيل توجد فى عصور سابقة قبل أن تتحضر الشعوب وتستقر لإقامة الحياة العلمية المنظمة وسواء أكانت غاية الفنون الجميلة هى التعبير أم السرور أم الفائدة فإنها متشابهة الغايات وإن اختلفت فى وسائل الأداء فهى فى الشعر أو الأدب كلام أو لغة كلامية وهى فى الرسم ألوان أو لغة لونية وهى فى التصوير أحجار وفى الغناء أنغام وفى الرقص أجسام ، وهكذا كانت لغة الفن مختلفة وغايتها واحدة ومنها اللغة الأدبية التى كانت وسيلة الحياة الأدبية.

والنثر الفنى الأدبي يتناول الخطبة والرسالة والقصة والحكمة والمثل و ونحوها مما هو نصوص أدبية يراعى منها ناحية التأثير وإثارة العواطف ولسنا نشك فى أن شيئاً من ذلك قد وجد ولا سيما الخطابة والكتابة والمعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية ، لأن الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد كانت تستدعى الخصومات والدعوة الدينية فكان لابد من ألسنة تصور هذه الحوادث .

(١) الخطابة : -

ولقد كانت الخطابة فى الجاهلية أداة اجتماعية هامة للحرب والصلح والوفادة والزواج والمفاخرة والمنافرة والوعظ ، وجاء الإسلام فازدادت نشاطا وأخذت تستميل كذلك فى موضوعاتها ومعانيها وألفاظها ، نشطت استجابةً لهذه

الدعوة الجديدة وتغيرت فصارت دعوة دينية وسياسية وحزبية وإجتماعية **وظهر أثر القرآن فيها سريعاً** ،

١- لقربها من فنه .

٢- ولاعتمادها عليه مباشرة .

٣- ولاقتباسها من آية .

٤- ولأنها فن سريع شفوى خصوصاً لدى العرب .

ومن تتبع نصوصها ، وأطلع على شواهدها ، وأمعن النظر فى نماذجها تبين له متانة أسلوبها ، وعذوبة ألفاظها ، وشرف معانيها ، وقوة تأثيرها ، واقتباسها من القرآن،وانتهاجها نهجه فى الارشاد والاقناع ثم زادها عظمةً ورقياً إلى أن جاء القرآن نثراً لا شعراً وإن بلغ بنثره من التأثير فى النفوس والوصول إلى مواطن الحجة والاقناع ما لم يبلغه الشعر،من قبل،وإن جاء رسول اللّٰه (ﷺ) غير شاعر يتصرف بخطابته تصرفاً تناول شتى الأمور من دعوة الى الدين وبيان أحكامه ، ورسم سياسة الدولة الدينية والاجتماعية والتشريعية،ومن تحميس الجند وحثهم على القتال والدفاع،وقمع الفتن،ورد البدع والحض على لزوم الطاعة وغير ذلك من جلائل الأُمور التى يقصد قصدها،ويتجه نحوها فى فصاحة لسان،وحسن بيان ونصاعة حجة،ودراية منطق،وقوة الهام،وَقُدْرَة على الجدل،وَتَمَكُن من وسائل الإقناع،ومعرفة وطيدة بلغات العرب،ولهجاتهم على تنائى الديار،واختلاف اللهجات ثم جاء خلفاؤه من بعده فاستنوا سنته،وانتهجوا طريقته وساروا على هديه يعون الى الدين،و يشرحون تعاليم الإسلام وينفذون العهود والوصاية للقواد والولاة والقضاة بمثل ما كان يفعل رسول اللّٰه (ﷺ) ولكنهم تقحموا أبواباً جديدة

كانت موصدة أيام رسول الله (ﷺ) فقد حدث خلاف بين المهاجرين والأنصار كاد يتسع خطره لولا حكمة " أبى بكر و عمر " كما ارتد كثير من قبائل العرب أول خلافة " ابى بكر " حيث انفتح باب الفتنة الكبرى على مصراعيه فدخلت الأمة منه الى فرقة لا جمع لها،وإلى خلاف لم يأت بعده اتفاق،والتاريخ أصدق سِجِل وخير مُحَدْث عن ذبح " عثمان " ﷺ وما كان بين العلويين والأمويين وبين هؤلاء جميعاً والخوارج الناقمين مما أدى الى حروب الجمل وصفين وأنهى عهد الخلفاء الراشدين بقتل " على – رحمه الله – سنة أربعين،وسيأتي تفصيل الخلافات أيام الأمويين .

فالخطابة فى صدر الإسلام كان عليها أن تتناول هذه الأحداث والفتن التى أتسع أُفُقِها ، وعم شأنها وشغل الناس بها ، ولولاها كل ذى مكانة مؤيداً أو معارضاً – موالياً أو معادياً – مكثراً القول فى قلب الولاة والحكام،وتنقص الخلفاء وإظهار معايبهم ، كالذى حدث فى فتنة " عثمان " ﷺ أو يجادل خصمة ، ويوهن حجته،ويأخذ عليه نواحى الرأي،ومسالك الكلام كما حدث بين علي – كرم الله وجهه – والخوارج فظهرت قوة الحوار،وشدة الجدل،ونصوع الحجة ولدد الخصومة،لذلك وجدت الخطابة لها فى هذا العصر وقوداً هائلاً اشعل جذوتها ، وأذكى نارها،وَمَدْدَّ فِيّاضُها فأكسبها الرقى والنمو والازدهار،وبقيت للخطابة عاداتها القديمة من اعتجار العمامة،والاشتمال بالرداء،واتخاذ المخصرة والوقوف على نشز من الأرض أو منبر وكان رسول الله (ﷺ) يعتمد على قوس فى الحروب،وعلى عصا فى السلم قبل أن يتخذ له المنبر،وكانوا يبدءونها بالحمد لله وتوحيده،و الثناء عليه وتعظيمه،ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وصفوته من خلقه ولذلك لما خلت خطبة " زياد " من هذا البدء سميت بالبتراء .

وقد جروا فيها على طرفي الإيجاز والإطناب إتباعاً للدواعي فقد خطب رسول الله (ﷺ) من لدن صلاة العصر حتى دنت الشمس للمغيب ، كما فى رواية " أبي سعيد الخدري " .

كما ذكر أن " عمر " لما بويع وقف على المنبر فلم يزد على قوله بعد " الحمد لله، والصلاة على نبيه ، **ثم قال** : " أيها الناس ، انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له،ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه " ثم نزل .

هذا،وخطباء صدر الإسلام بعد رسول الله (ﷺ) لا يحصون كثرة وأعظم الخلفاء الراشدين،كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين،غير أنه من المجمع عليه أن أخطب خطبائه غير مدافع ولا منازع بعد رسول الله (ﷺ) هو ابن عمه وزوج ابنته " على بن أبى طالب " – رحمه الله تعالى – .

نماذج من الخطابة فى هذا العصر

لما نزل قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر:٩٤]

دعا رسول الله (ﷺ) قومه ، وصعد النبي - ﷺ - على الصَّفا ، فجعل يُنادي : ((يا بني فهر! يا بني عدي !)) لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرَّجل إذا لم يستطع أن يَخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش **فقال**:

((أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تُريد أن تُغيرَ عليكم أكنتم مصدقيَّ؟)) قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً .

قال : ((فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) .

فلما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤]

جمعهم (ﷺ) فحمد الله ثم أثنى عليه فقال : " الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " .

ثم قال: " إن الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس جميعاً، ما كذبتكم ولو غررت الناس، ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس كافةً، والله، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً. وإنها للجنة أبداً. والنار أبداً. وأنتم لأول من أنذر" .

وخطب رسول الله (ﷺ) حين دخل مكة فبعد أن طاف بالبيت سبعاً على راحلته وأخذ مفتاح الكعبة من حاجبها " عثمان بن طلحة " وقف على باب الكعبة وجمع أهل مكة وخطب فيهم **فقال**:

((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط أو العصا ففيه الدية مغلظةً مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣]

ثم قال: ((يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم اليوم؟)) قالوا: خيراً، أخ كريم إبن أخ كريم، **قال:** ((اذهبوا فأنتم الطلقاء...)).

وخطب يوماً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : " أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار".

وخطب " أبو بكر الصديق " ﷺ يوم السقيفة،فحمد الله وأثنى عليه،

ثم قال : أيها الناس! نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسّهم رحماً برسول الله (أسلمنا قبلكم، وقدّمنا القرآن عليكم، **فقال تبارك وتعالى:** ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠]

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدوّ، آويتم وواسيتم، فجزاكم اللّٰه خيراً، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تُنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم اللّٰه من فضله.

أما بعد أيها الناس، إني أوصيكم بتقوى اللّٰه العظيم في كل أَمر وعَلَى كل حال، ولُزوم الحق فيما أَحببتم وكَرِهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير. مَن يَكْذب يَفْجر، ومَن يَفْجر يَهْلِك. وإيّاكم والفَخْرَ، وما فَخْرُ مَن خُلق من تراب وإلى التراب يَعود، هو اليوم حيّ غداً مَيّت. فاعمَلوا وعُدُّوا أنفسَكم في الموتى وما أَشكل عليكم فردّوا عِلْمه إلى اللّٰه، وقَدِّموا لأنفسكم خيراً تَجدوه مَحْضراً، فإنه **قال عَزَّ وجلّ**: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]

فاتّقوا اللّٰه عبادَ اللّٰه، وراقبوه واعتبروا بمَن مَضى قبلكم، واعلموا أنه لا بُدّ من لقاء ربّكم والجزاء بأعمالكم صَغيرها وكَبيرها، إلا ما غَفر اللّٰه أنه غَفور رحيم فأَنْفِسَكم أَنفسكم والمُستعانُ اللّٰه، ولا حَولَ ولا قوّة إلّا باللّٰه. إنَّ اللّٰه وملائكته يصلّون على النبيّ، يأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلِّموا تَسْليماً. اللَّهم صَلِّ على محمدٍ عَبْدِك ورسولك أفضلَ ما صلَيت على أحدٍ من خلْقك، ذكِّنا بالصلاة عليه، وأَلحقنا به، واحشُرنا في زمْرته، وأَوْرِدْنا حوضَه. اللَّهم أَعِنّا عَلَى طاعتك وانصُرنا عَلَى عدوّك.

ومن أبلغ كلامه حين عهد بالخلافة إلى " عمر " ﷺ ما روي عن عبد الرحمن بن عوف **أنه قال**: دخلتُ على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علَّته التي مات فيها يوما، **فقلت**: أراك بارئا يا خليفة رسول الله. **فقال**: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليَّ من وجعي، إني ولَّيت أموركم خيركم في نفسي، فكلَّكم ورغم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذنَّ نضائد الدِّيباج، وستور الحرير، ولَتألُمنَّ النوم على الصوف الأذريَّ كما يألم أحدكم النوم على حَسَك السَّعَدان، والذي نفسي بيده لئن يَقدَّم أحدكم فتُضرب عنقه في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غَمَرات الدُّنيا، يا هادي الطريق، جُرتَ، إنَّما هو الفجر أو البحر.

فقلت: خفِّض عليك يا خليفة رسول الله، فإنَّ هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله ما زلت صَالحِاً مُصلحا لا تأسى على شيء فاتك من الدنيا. ولقد تخلَّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً.

ومن خطب " عثمان " ﷺ ، وقد نقم الناس عليه :

فقال : " أما بعد فإن لكل شئ آفة وإن لكل نعمة عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون ظنانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردهم إليهم النازح لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عسكراً لا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسب .

لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم عَلَيَّ ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده ووقمكم وقمعكم وزجركم زجر النعام المخزومة فدنتم له على ما أحببتم

أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كنفى وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عَلَيَّ أما والله إني لأقرب ناصراً وأعز نفراً وأكثر عدداً وأقمن إن قلت هلم أن تجاب دعوتى من عمر ولقد أعددت لكم أقرانكم وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا،ألا فما تفقدون من حقكم فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ومن لم تكونوا تختلفون عليه فضل ، فضل من مالي فمالي لا أصنع في الفضل ما أريد إذن فلم كنت إماما " .

ومن خطبه فى الوعظ :

" إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى، ولا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية.. واحذروا من الله الغِيَر، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزابا ، ثم قرأ قوله تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وخطب"على بن أبى طالب " لما أريد على البيعة بعد قتل " عثمان "-رحمه الله – **فقال** : " دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول،وإن الآفاق قد أغامت،والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أحببتكم رغبت لكم ما أعلم،ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب،

وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً " .

ومن خطبه كرم الله وجهه حين استنفر أهل الكوفة لجرب الجمل،**قال** :

" فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى التلقين كافةً ، والناس في اختلاف والعرب بَشرٌّ المنازل ، مستضعفون لما بهم ، فرأب الله به الثأي ، ولام به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الموغرة للقلوب ، والضغائن المشحنة للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريماً عند الله نَزْلَهُ . فيا لها من مصيبةً عمت المسلمين وخصت الأقربين ، وولي أبو بكر فسار فينا بسيرة رضا ، رَضِيَّ بها المسلمون .

ثم ولي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما . ثم ولي عثمان فنال منكم ونلتم منه .

ثم كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقلتم : لو بايعتنا ؟ فقلت : لا أفعل ، وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم كفي فجذبتموها وقلتم : لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ، وتراكمتم على تراكم الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعضاً ، فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم ما لبثا أن أستأذناني إلى العمرة .

فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين ، وفعلا بها الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست بدون من مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قطعا قرابتي، ونكثا بيعتي ، وألبا على عدوي . اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما . وأرهما المساءة فيما عملا وأمّلا" .

الكتابة

إن من أقوى وسائل الحضارة والتمدن ، والرقى والتقدم فى جميع المجالات وأساس حاجيات الملوك والسلاطين والأمراء هى " الكتابة " . فكلما تعددت مناحى الحضارة ، واتسعت مناهج الفكر كانت الحاجة ماسة وملحة إلى " فن الكتابة " ويُعنى بالكتابة هنا هى التى لا تمتاز عن أسلوب المشافهة ، لأنها امتداد للحديث العادى ، وليست فناً ذا ملكة خاصة ، أما الكتابة التى يتأنق فيها كاتبها، ويحاول تحسينها ، وصيغها بالصيغة الفنية ذات الصناعة اللفظية يكون خاضعاً فى الغالب لأصول وتقاليد مرسومة ، هذا اللون من الكتابة لا يوجد إلا على يد الكُتّاب فى القرنين (الأول والثانى) مثل " عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع " .

ولم يسمح العهد الجاهلى بالكتابة ، حيث كان عصر سذاجة وبداوة بيد أنه لما جاء الإسلام وحثّ على العلم والتعليم وكان أول آيات القرآن نزولاً " اقرأ باسم ربك الذى خلق " فهيأ الإسلام المسلمين للثقافة والتهذيب ، والفتح والجهاد والولاية على الأرض وذلك لنشر الإسلام بين الشعوب والأمم .

هذا الأمر جعل الكتابة أساساً لتلك النهضة العظيمة التى أتاحها الله للمسلمين ، وذلك ما وضع رسول الله (ﷺ) دعامته الأولى منذ بعثة سيدنا محمد (ﷺ)، فقد أدرج ابن عمه سيدنا " على بن أبى طالب – رضى الله عنه – منذ طفولته على تعلم القراءة والكتابة ، وكذلك أخذ أخاه " جعفر بن أبى طالب " وكانت تلك خطته فى أسرته وعشيرته وقد امتن سيدنا محمد (ﷺ) على كل من يحسن القراءة والكتابة من أصحابه فجعلهم كُتَّاب وحيه ، وهذا هو أسمى ما يطمح إليه إنسان يؤمن بالله ورسوله .

وقد راسل محمد (ﷺ) الملوك والأمراء يخبرهم برسالته ، ويدعوهم إلى اعتناق دينه والإيمان باللّٰه – عز وجل – وحده لا شريك له ، واستخدم فى تدوين هذه الرسائل عليه السلام – كثرة كاثرة من كتابه الذين تعلموا القراءة والكتابة كما كتبوا له عهود الصلح التى عقدت بينه وبين قريش وغيرهم كثير ممن دخل الإسلام .

وقد عمل رسول اللّٰه (ﷺ) على تعميم الكتابة ، ففرض على أَسَارى غزوة بدر الكبرى ، والذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة أن يفدى نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، فكان ذلك فتحاً مبيناً للعلم ، ولم يلحق النبى (ﷺ) بالرفيق الأعلى حتى أناف الكتاب على " خمسمائة " من الذين يجيدون القراءة والكتابة بين فتى وفتاة ورجل وامرأة وكان كُتَّابه(ﷺ) على نوعين :

النوع الأول : كُتّاب وحى لرسول اللّٰه (ﷺ) .

النوع الثانى : كتّاب أعمال .

ومن كُتّاب الأعمال كما يرويه لنا " القضاعى " فى كتابه " عيون المعارف " " الزبير بن العوام ، وجهم بن الصلت " وحذيفة بن اليمان " وكانوا يكتبون الصدقات والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير " وكانا يكتبان التداين والمعاملات .

وقد سار خلفاء النبى (ﷺ) فى نشر الكتابة واستخدام الكُتّابِ فى رسائلهم إلى القادة والعمال ، وفى وصاياهم إلى قضائهم ، وكذلك فى مصالحتهم فى أهل البلاد المفتوحة وعامةً المسلمين .

وقد بقيت الكتابة من عمل النبى (ﷺ) وأصحابه من بعده ينشئون بِمَلَكَتِهم فيكتبون بأيديهم أو يُمْلُونَ غيرهم إن لم يكونوا كاتبين .

ولهذا لم توجد طائفة خاصة تدعى " طائفة الكتابة " كما صارت إلى الحال فيما بعد .

ميزات الكتابة

ومن ميزات الكتابة فى هذا العصر، وهى طابعها السهل، وبعدها عن التكلف مع ميلها إلى الإيجاز، وقصدها إلى الغرض المطلوب وخلوها من عبارات التفخيم، فما عرفوا ضمير الجمع إلا له فيقولون" أنا وأنت "واحتذاؤها حذوا القرآن الكريم وذلك فى الجزالة والقوة وامتداد الجمل، ورسوخها فى الفصاحة ولم يكن يميزها عن أسلوب المشافهة إلا ابتداؤها **بقولهم** :

" من عبد الله " فلان " أمير المؤمنين إلى " فلان بن فلان " أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله، الذى لا إله إلا هو أو هذا ما عاهد به أمير المؤمنين، أو هذا ما أوصى به أمير المؤمنين، أو هذا ما صالح به أمير المؤمنين، كما كان الوالى أو القائد إذا كتب إلى الخليفة قدم اسم الخليفة **فيقول مثلاً** ،

" من سعد بن أبى وقاص"إلى أمير المؤمنين"عمر"، **وقد يقول**:" إلى أمير المؤمنين من فلان " .

وكانت الكتابة ترمى إلى الغرض دون إمالة أو تكلف بعيدةً عن فضول الكلام حتى لقد كان الكِتّاب فى بعض الأحيان يكتبون سطراً واحداً كما كتب " عمر بن الخطاب " – رضى الله عنه – إلى " عمرو بن العاص " :

" من أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب"إلى " عمرو بن العاص " أما بعد " فما تبالى يا عمرو إذا شبعت أنت ومن معك أن أُهْلَكَ أنا ومن معى فوا غوثاه ثم واغوثاه " :

فاجابه عمرو ، " إلى أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " من " عمرو بن العاص":

سلام عليك (أما بعد)فقد أرسلت إليك بعيراً أولها عندك وآخرها عندى والسلام " .

وربما وقف الكتاب عند جملة واحدة ، كما كتب " خالد بن الوليد " إلى " عياض بن غنم " حين استنجده وهو محاصر بدومة الجندل : " إياك أريد " ولعل هذا أوجز كتاب فى الأدب العربى .

هذا ما يتعلق بالكتابة فى عهد رسول الله (ﷺ) وخلفائه الراشدين ، ومنه يعلم أن الكتابة كانت كتابة رسائل فحسب ، ومع ذلك لم تصطبغ بصيغة ذات صناعة لأن العهد كان قريباً من البداوة .

أما كتابة الدواوين فكانت تؤدى بلغة أهل المصر ، وهى القادسية فى " فارس ، والعراق ، والرومية بالشام ، والقبطية فى مصر " إلى أن كان تعريب الدواوين على عهد " عبد الملك بن مروان " ، كما سيجئ تفصيل ذلك .

نماذج من كتابة هذا العصر

١- كتب رسول اللّه (ﷺ) إلى ملك الفرس (كسرى أبرويز) :

" بسم اللّه الرحمن الرحيم – من محمد رسول اللّه إلى " كسرى " عظيم " فارس " سلام على من اتبع الهدى ، وآمن باللّه ورسوله وأدعوك بدعاية اللّه – عز وجل – فإنى أنا رسول اللّه إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس عليك " .

٢- وكتب إلى ملك الروم :

" بسم اللّه الرحمن الرحيم – من محمد رسول اللّه إلى " هِرَقْل " عظيم " الروم " سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فإنى أدعوك بدعاية الإسلام – أسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين[1] ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللّه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللّه ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون " .

٣- وكتب إلى " المقوقس " عظيم القبط بـ " مصر " :

" بسم اللّه الرحمن الرحيم – من محمد رسول اللّه(ﷺ)إلى" المقوقس " عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فاسلم تسلم يؤتك اللّه أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللّه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضاً بعضاً أرباباً من دون اللّه فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

---

1 - قيل : هم الخدم والحول لصبره إياهم عن الدين ، وقيل : هم عبدة النار فجعل عليه إثمهم .

obeikandl.com

٤- وكتب إلى " النجاشى " ملك الحبشة :

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله (ﷺ)إلى " النجاشى " ملك الحبشة – إنى أحمد إليك[١]الله الملك القدوس[٢]السلام ، المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم البتول[٣]الطيبة الحصينة . حملته من روحه ونفخه كما خلق " آدم " بيده وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله (ﷺ) وإنى أدعوك وجنودك إلى الله – عزوجل – وقد بلَّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى ، وقد بعثت إليكم ابن عمى " جعفراً " ومعه نفر من المسلمين ، والسلام على من اتبع الهدى " .

٥- ولما ادعى"مُسَيْلَمَة"النبوة. وكتب إلى النبى محمد (ﷺ) "من مسيلمة رسول الله سلام عليك(أما بعد) فإنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها – ولكن قريشاً قوم يعتدون " .

كتب إليه (ﷺ) :

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله (ﷺ) إلى " مسيلمة الكذاب " – السلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين " .

٦- وعهد " أبو بكر الصديق " – إلى " عمر " بالخلافة عند موته فقال :" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به " أبو بكر" خليفة محمد رسوله (ﷺ) عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها

1 - أى أحمد الله معك أو أحمد الله حمداً أشهدك عليه أو أوجهه إليك فى مقابلتك .
2 - تقدس الله : تنذه وهو القدوس .
3 - العابدة المنقطعة للعبادة .

obeikandi.com

الكافر، ويتقى الفاجر.إنى استعملت عليكم " عمر بن الخطاب " فإن بَرَّ وعدل فذلك علمى به ، ورأيى فيه ، وإن جارَ وبَدَّلَ فلا علم لى بالغيب والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " .

٧- ومن وصاياهم إلى أولياء عهودهم وصية " أبى بكر الصديق " لـ " عمر " رضى الله عنهما :-

" إنى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار ، فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقى بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتى هذه فلا يكن غائب أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن صدقت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله " .

٨- ومن إرشادهم لقضاتهم كتاب " عمر " إلى " أبى موسى الأشعرى " وقد ولاه القضاء :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من " عبد الله عمر " أمير المؤمنين إلى " أبى موسى الأشعري " سلام عليك (أما بعد) فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آسِ بين الناس

فى وجهك وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً أو حرم حلالاً .لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فَقِس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينةً أمراً ينتهى إليه ، فإن أحضر بينة وإلا استحللت عليه القضية فإنه أتقى للشك ، وأجلى للعمى والمسلمون عُدُول بعضهم على بعض إلى مجلوداً فى حد مجر أو مجرياً عليه شهادة زور أو ضغيناً ، فى ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان إياك والغَلَق ، والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن الزخر ، فمن صمَّت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك بثواب الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته والسلام " .

٩- ومن مصالحتهم لأهل البلاد المفتوحة ما كتبه " عمر " إلى أهل " إيلياء " " بيت المقدس " :-

" بسم الله الرحمن الرحيم " : هذا ما أُعْطَى " عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل "إيلياء" من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر مِلّتها أنه لا تُسكَن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنقص منها ولا من

حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن " إيلياء " معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل " إيلياء " أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل" إيلياء "من الجزية ، ومن أحبّ من أهل " إيلياء " أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم ، وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم " .

١٠- ومن رسائلهم إلى أمراء الأمصار ما كتبه " عثمان " – رضى الله عنه – إلى عماله حين ولى الخلافة :-

(أما بعد) فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا دُعاة ولم يتقدم إليهم أم يكونوا جباة وإن صَدْرَّ هذه الأمة خلقوا جباة – وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباةً ولا يصيروا دارةً فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم . ثم العدو تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء " .

١١- ومن مناشير إلى عامة المسلمين ما كتبه " عثمان " :

" أما بعد فإنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء ، والاتباع فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولاد السَّبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله (ﷺ) **قال** : الكفر فى العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا " .

١٢- وكتب " علىّ " إلى " معاوية " بعد وقعة الجمل :-

" سلام عليك (أما بعد) : فإن بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعنى الذين بايعوا " أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى " ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك رضاً ، وإن خرج عن أمرهم خارج ردوه إلى ما خرج عنه ، فإن أَبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً ، وإن " طلحة والزبير " بايعانى ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، أحبّ الأمور إلى قبولك العافية وقد أكثرت فى قتلة " عثمان " فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلىَّ حملتك وإيَّاهم على كتاب الله .

وأما تلك التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللَّبن والعُمْرِىّ لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم " عثمان " واعلم أنك من الطُلَقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى وقد بعثت إليك من قبلك"جرير بن عبد الله "وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ، ولا قوة إلى بالله " .

١٣- فكان جواب " معاوية " على هذه الرسالة :-

" من " معاوية بن صخر " إلى " على بن أبى طالب " (أما بعد) : فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم " عثمان " كنت " كأبى بكر وعمر وعثمان " رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغربت " بعثمان " المهاجرين ، وخذلك عنه الأنصار فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى

تدفع إليهم قتلة " عثمان " فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ما حجتك علىّ كحجتك على " طلحة والزبير " لأنهما بايعاك ، ولم أبايعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل العراق لأن أهل العراق أطاعوك ولم يُطعك أهل الشام ، وأما شرفك فى الإسلام وقرابتك من رسول الله (ﷺ) وموضعك من قريش فلست أدفعه" .

وقد رد عليه " على بن أبى طالب " كرّم الله وجهه ، واستمرت المكاتبات بينهما طويلاً حتى كانت الحرب ، فلنقف عند هذا القدر ، ونكتف بما ذكرناه من نماذج لضيق المقام .

النثر العلمى

أما النثر العلمى الذى يقصد به التهذيب العقلى والتأليف والتصنيف فالمعقول أن العصر الجاهلى والإسلامى لم يظفروا منه بشئ ، إذ أن ذاك يستتبع حياة علمية ناضجة ، واستقراراً هادئاً ، ولم يتوافر شئ من ذلك إلا قليلاً نادراً فى بعض مدن الحجاز ، ولكن انعدام الكتابة وغلبة العمل الاقتصادى قد حالا دون بحث أو تقرير علمى .

ولما ظهر الإسلام شغل العرب الفتوح ونشر الدين أولاً ، وبالفتن الداخلية ثانياً مدة القرن الأول ، وكانت الخطابة والشعر والكتابة تساير ذلك كله ، فانقضى ذلك العهد دون أن يدون كتاب ، إلا ما كان من أمر القرآن فى إثباته على الرِقَاع ونحوها مدة " أبى بكر " وفى المصاحف على عهد " عثمان " وكان اعتماد القوم فى دينهم ودنياهم على كتاب الله ، وسنة رسوله ، وحين الاشتباه يكون مرجعهم إلى الخلفاء والفقهاء ، والاجتهاد ، حتى أقوال النبى (ﷺ) وفتاوى صحابته لم يدونوها " اللهم إلا ما سبق من موقف " عبد الله بن عمرو بن العاص " مخافة أن ينتهى بهم التدوين إلى إهمال الحفظ ، والاعتماد على الكِتَاب المعرض للضياع والتصحيف والتحريف ، وفى كل ذلك من الأضرار ما كانوا يَحْذَرون ، ولولا اشتداد الخلاف بين القراء فى الأمصار ، ما أقدم " عثمان " رضى الله عنه على نسخ القرآن .

ولما دخل الأجانب فى الإسلام ولهم عراقة ورسوخ فى العلوم والحضارات أخذ المسلمون فى التفكير والإنتاج العلمى والتأليف والتصنيف نشأت الكتابة العلمية منذ أواخر العصر الأموى ، وظهرت بشكل واسع ومنظم فى العصر

العباسى، وجملة القول أن الحياة الإسلامية وجد فيها فنون من النثر الأدبى دون النثر العلمى ، ذلك النثر الفنى الذى علت منزلته ، وارتفعت قيمته ، لأنه أسلوب الدعوة الدينية وأداة الهداية التشريعية ، ووسيلة البيان للأصول والأحكام بألفاظ عربية فصيحة ، سمحة عذبة لا تُكِــدُ الألسنة ولا تنبو عن الأفئدة ، ولا تقول على الأسماع مجانبة لكل وحشى غريب ، أو متنافر ثقيل تأثراً بفصاحة القرآن وفصاحة النبى (ﷺ) .

خطبة أبى بكر

" إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تبلغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم فقد جمع كلمتكم ،أصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد أروق أن استنفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين فى ذلك الحظ الأوفر ، فمن هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأيى الذى رأيت فليشر علىَّ امرؤ بمبلغ رأيه .

ثم إن أبا بكر – رحمة الله عليه ورضوانه – قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبى ﷺ – ثم قال :-

يا أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين ، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإنى مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " .

خطبته بعد البيعة

حمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال :-

" أيها الناس: إنى قد ولّيت عليكم ولست بخيركم ، لإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت اللّه فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ، ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه، أقول قولى هذا وأستغفر اللّه لى ولكم ".

خطبة له فى الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين فساوى فيه بين الناس فغضبت الأنصار ، وقالوا له فضلنا ، فقال " أبو بكر " صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا وإن صبرتم كان ذلك للّه – عز وجل – فقالوا : واللّه ما عملنا إلا للّه تعالى وانصرفوا فَرَقَى " أبو بكر " المنبر ، فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى على النبى (ﷺ) **ثم قال :**

" يا معشر الأنصار : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا قلتم : إن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد . **فنحن وأنتم كما قال " طفيل الغنوى "** :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقنى ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى يلقون منا لملت

هم أسكنونا فى ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلت

خطبة عمر

فقام عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (ﷺ) ثم قال :

" الحمد لله الذى يخص بالخير ما يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أروق لقاءك لهذا الرأى الذى ذكرت فيما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد أصبت ، أصاب الله بك سبل الرشاد ، وسرّب إليهم الخيل فى إثر الخيل ، وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله – عز وجل – ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعد رسوله .

وخطب أيضاً ، فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى(ﷺ) :-

" أيها الناس،إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله (ﷺ) تؤخذون بالوحى ، فمن أسرّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإن من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً واعلموا أن بعض الشُّحِّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، أيها الناس أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطىّ فإنه إن لم يشف فإنه يصف أيها الناس ، إنى لوددت أن أنجو كفافاً لا لى ولا علىّ ، وإنى لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن يبقى أحد من المسلمين وإن

كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال اللّه وإن لم يعمل إليه نفسه ، ولم ينصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التى رزقكم اللّه ، والقليل فى رفق خير من كثير فى عنف ، والقتل حتف من الحتوف يصيب البَرَّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه وإذا أراد أحدكم بعيداً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه به بعضاً فإن وجده جديد الفؤاد فليشتره " .

وخطب أيضاً فحمد اللّه وأثنى عليه ، ثم قال :

" أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت " أُبَىّ بن كعب"، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت " زيد بن ثابت " ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت "معاذ بن جبل"، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى ، فإن اللّه جعلنى له خازناً وقاسماً ، إنى بادئ بأزواج رسول اللّه (ﷺ) فمعطهن ثم المهاجرين الأولين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم أنا وأصحابى ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته ، إنى قد بقيت فيكم بعد صاحبى فابتليت بكم وابتليتم بى ، وإنى لن يحضرنى من أموركم شئ فَأَكِلُهُ إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأُحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلنّ بهم " .

خطبة على بن أبى طالب

" الحمد للّٰه الذى بعث محمداً مِنّا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، ولنا حق أن نعطه نأخذه وإن نُمنعه نركب أَعْجَاز الإبل ، ولو طال السُّرَى ، لو عهد إلينا رسول اللّٰه (ﷺ) عهداً لأنفذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة الحق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه ، اسمعوا كلامى ، وَعُوا منطقى عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تنتضى فيه السيوف ، وتخان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعةً لأهل الجهالة ، **ثم أنشا يقول :**

فإن تك جاسم هلكت فإنى ... بما فعلت بنو عبدين ضخم

مطيع فى الهواجر كلّ عىٍّ ... بصير بالنوى من كل نجم

obeikandl.com

خطبة لعلى

وخطب " علىّ " لما سار " الزبير وطلحة " من مكة ومعهما " عائشة " يريدون " البصرة " فقال :-

" أيها الناس إن " عائشة " سارت إلى " البصرة "، ومعها " طلحة والزبير " وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبة ، أما " طلحة " فابن عمها ، وأما " الزبير " فختنها ، والله لو ظفروا بما أرادوا – ولن ينالوا ذلك أبداً – ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ، والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبةً ولا تحل عقداً إلا فى معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة إى والله ليقتلن ثلثهم ، وليهربن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم ، وإنها التى تنجها كلاب الحوأب ، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان ، ورُبَّ عالم قتله جهله ، ومعه علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالى ولقريش ! أما والله لقد قتلتهم كافرين ولأقتلنهم مفتونين ، ومالنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها فى حيّزنا ، والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها ، ثم نزل .

خطبة على بن أبى طالب

فلما رجع " القعقاع " من عند أم المؤمنين ، وطلحة والزبير ، جمع الإمام عَلِىّ الناس ، ثم قام على الغرائر ، فَحَمِد اللّه - عزوجل - وصلى على النبى (ﷺ) وذكر الجاهلية وشقاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام اللّه على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول اللّه (ﷺ) ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، ثم حدث هذا الحدث ، الذى جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها اللّه عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ، واللّه بالغ أمره ، ومصيب ما أراد إنى راحل غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على " عثمان " - رضى اللّه عنه - بشئ فى شئ من أمور الناس ، وليغن السفهاء عنى أنفسهم .

obeikandl.com

خطبة الأحنف بن قيس
بين يدى عمر بن الخطاب

قَدِمَ الأحنف بن قيس التميمى على عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده فى أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم **وتكلم الأحنف فقال :**

" **يا أمير المؤمنين** : إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصر وبنو الأصفر ، فهم من المياه العذبة والجنان المخصبة فى مثل حولاء السَّلى ، وحدقة البعير الغاسقة ، تأتيهم ثمارهم غضةً قبل أن تتغير ، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا أرضاً سبخة هشاشة ، زعقة نشاشة طرف فى مقلاة ، وطرف فى ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب ، وجانب سبخة نشاشة لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها فى مثل مرئ النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، دارنا نعمة ، ووظيفتنا ضيقة ، وعددنا كثير وأطرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ، ودرهمنا كبير ، وفقيرنا صغير ، وقد وسع الله علينا وزادنا فى أرضنا ، فوسع علينا يا أمير المؤمنين ، وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها ، فإلا ترفع خيستنا[1] ، وتنعش ركيستنا[2] ، وتجبر فاقتنا وتزد فى عيالنا عيالاً ، وفى رجالنا رجالاً ، وتُصَفِر[3] درهمنا ، وتكبر فقيدنا وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء ، هلكنا " .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد ، قال الأحنف : فما زلت أسمعها بعدها .

---

1 - رفت من خسيسته : فعلت به فعلاً فيه رفعته .
2 - الركس : قلب أول الشئ على آخره . وارتكس : انتكس ووقع .
3 - صفرة : صبغه بصفرة ، أى تبدلنا بالدرهم الأبيض ديناراً أصفر ، وتجعل فضتنا ذهباً .

خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

" **يا أمير المؤمنين** : إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلاً ولا قالاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستماحة المتاح ، فإن كل امرئ يجمع فى وعائه إلى الأقل ممن عسى أن تقتحم الأعين فلا يوفد إليك ".

خطبة عمرو بن معد كرب الزبيرى

ثم قام عمر بن معد يكرب الزبيرى فقال :-

" **إنما المرء بأصغريه** : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجعة الارتياد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير ، من أراد لنا قضماً ولكن منعنا حمانا من كل من رَامَ لنا هضماً " .

خطبة قيس بن ساعدة الإيادى

خطب خطبة قيس بن ساعدة الإيادى بسوق عكاظ ، فقال :

"أيها الناس : اسمعوا واعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مراسة وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة . إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ يقسم قُسّ باللّه قسماً لا إثم فيه : إن اللّه ديناً هو أرضى له ، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه إنكم لتأتون من الأمر منكراً . **ويروى أن قساً أنشا بعد ذلك يقول** :

فى الذاهبين الأوليين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لأمصار
ورأيت قومى نحوها ... تمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى إلى ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

خطبة قُسّ بن ساعدة عند قيصر

وكان قُسّ بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه . قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه . قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قُضى به الحقوق .

الوصايا

الوصية هى :" قول حكيم مجرب للأمور ، قد خبر الدنيا ، وسبر أغوارها وذلك ليفيد منها من يجئ بعده وتكون نبراساً له يضئ أمامه الطريق اللاحب ليجتاز العقبات ويتفادى الأزمات ، وينجو بنفسه من المهلكات .

وتقول معاجم اللغة : وصى ، أوصى الرجل ووصاه : عهد إليه .

قال رؤية : " وصّانى العجاج فيما وصّنى.

أراد فيما وصانى ، فحذف اللام للقافية ، وأوصيت له بشئ وأوصيت إليه إذا جعلته وصيَّك . وأوصيته ووصيته إيصاءً وتوصيةً بمعنى . وتواصى القوم أى أوصى بعضهم بعضاً .

وفى الحديث :" استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان ، والإسم الوصاة والوَصاية والوِصاية والوصية أيضاً : ما أوصيت به .

والوصى : الذى يوصِى والذى يوصَى له وهو من الأضداد ، ابن سيده: الوصى الموصِى الموصَى ، والأنثى وَصِىّ ، وجمعهما جميعاً أوصياء ، ومن العرب من لا يثنى الوصى ولا يجمعه اللَّيث : الوصاة كالوصية وأنشد :

ألا مَـــنْ مبلـــغ عنـــى يزيـــدا وصاة مـــن أخـــى ثقـــة ودود

يقال ، وصى بين الوَصايا والوصية ، ما أوصيت به ، وسميت وصية لاتصالهما بأمر الميت ، وقيل لعلى ، عليه السلام – وَصِىٌّ لا تصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله (ﷺ) قلت : كرم الله وجه أمير المؤمنين على وسلم عليه هذه صفاته عند السلف الصالح رضى الله عنهم – ويقول فيه غيرهم : لولا دعاية فيه **وقول كثير،**

تُخَبِّر من لاقيت أنك عائـــــــــز بل العائز المحبوس فى سجن عارم

وصَى النبى المصطفى وابن عمه وفكاك أغلال وقاضى معـــــــــارم

وقوله – عز وجل - : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء:١١]

معناه يفرض عليكم لأن الوصية من الله إنما هى فرض ، والدليل على ذلك

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]

وقوله : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ [البقرة:١٣٢]

وقوله ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ﴾ [الشورى:١٣]

وقوله ﴿ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢]

وهذا من الفرض المحكم علينا.

وقوله تعالى : ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ ﴾ [الذاريات:٥٣]

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:٣]

وقوله : ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد:١٧].

openkandil.com

قال أبو منصور : أى أوصى أولهم آخرهم ، والألف ألف استفهام ومعناه التوبيخ **وتواصوا** : أوصى بعضهم بعضاً ، ووصى الرجل وصياً وصله ، ووصى الشئ بغيره وصياً وصله ، **أبو عبيد** : وصَيْت الشئ ووصلته سواء ، **قال ذو الرمة** ،

وصى الليل بالأيام حتى صـــلاتنا مقاسمة يشتق أنصافها الـــسفر

يقول : رجع صلاتنا من أربعة إلى اثنين فى أسفارنا الحال السفر.

قال الأصمعى : وصى الشئ يصِى إذا اتصل ، ووصاه غيره يَصِيه**:**وصله [1].

1 - لسان العرب – لابن منظور . المجلد السادس . مادة (وصى) ص ٤٨٥٣ وما بعدها – دار المعارف .

obeikandl.com

وصية " عمر " لـ " أبى عُبيد بن مسعود "

تقدم "عمر " إلى " أبى عبيد بن مسعود " فقال :

" إنك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرأوا على الشر فعملوه وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفشين سرك فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة .

٢- وصيته لـ " سعد بن أبى وقاص "

وصى" سعد بن أبى وقاص " حين أمّره على حرب العراق فقال :

" أيا سعد بن أبى وقاص، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (ﷺ) فإن الله – عز وجل – لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، والله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى (ﷺ) منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر هذه عظتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

obeikandl.com

ووصيته للمجاهدين

كان " عمر بن الخطاب " – رضى الله عنه – يقول عند عقد الألوية : " بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ولا تجنبوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور[1] ، ولا تقتلوا هرِمَاً ، ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارة عليهم [2] .

وصية " عمر"لـ " يعلى بن أمية " فى إجلاء أهل نجران

روى الطبرى قال :

كان أول بعث بعثه " عمر " بعث أبى عبيد ثم بعث " يعلى بن أمية " إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران لوصية رسول الله(ﷺ)فى مرضه بذلك ، ولوصية أبى بكر – رحمه الله – بذلك فى مرضه – وقال : " إئتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجِلِهم من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلى منهم ثم حَيّرَهُم البلدان ، وأعلنهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بزمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار بجيرانهم بالريف .

---

1 - الغلبة .
2 - شن الغارة عليهم صبها من كل وجه .

Obeikandl.com

وصية أبى طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت " أبا طالب "الوفاة جمع إليه وجوه قريش فاوصاهم فقال :

" يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب[1]، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية – يعنى الكعبة – فإن فيها مرضاةً للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فإن صلة الرحم منسأة [2]فى الأجل ، زيادة فى العدد اتركوا البغى والعقوق ، ففيهما أهلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعى ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيها محبة فى الخاص ، ومكرمة فى العام .

وإنى أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين فى قريش والصِدْيق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جائكم بأمر قَبِلَهُ الجِنَان[3]وأنكره اللسان مخافة الشتات ، وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها ، ودُورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد

- أى ذوو ألب : والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .
2 - أى فسحة واتدادا : من نسأه أى أخبره .
3 - القلب .

obeikandl.com

محضته[1] العرب ، ودادها ، وأصغت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش ، كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، واللّه لا يسلب أحد سبيله إلا رَشِدَّ ولا يأخذ بهديه أحد إلا سعد ، ولو كان لنفسى مدة وفى أجلى تأخير ، لكففت عنه الهزاهز[2]، ولدافعت عنه الدواهى .

وصية عمير بن حبيب الصحابى لبنيه

أوصى " عمير بن حبيب " بنيه فقال :

" يا بنى إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالتهم داء ، وإن من يحلم عن السفيه يُسَر بحلمه ، ومن يجبه يندم ، ومن لا يقرَّ بقليل ما يأتى به السفيه ، يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من اللّه – عزوجل – إنه من يوقن بالثواب من اللّه – عزوجل – لا يجد مسَّ الأذى .

وصية " دريد بن الصمة "

قال " دريد بن الصمة "لمالك بن عوف النصرى ، قائد هوازن يوم حنين :

" يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من أيام ، مالى أسمع رُغَاء البعير ، ونهيق الحمير ، وبكاء الصغير ، وزعاق الشاة ، **قال** : سُقْتَ مع الناس أبنائهم ونسائهم وأموالهم **قال** : ولم ؟ **قال** : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فأنقض به ، ثم قال راعى ضأنٍ واللّه ، وهل يرد

1 - محاضه الود : وأمحضه : أخلصه .
2 - الهزاهز والهزهزة تحريك البلايا والحروب الناس .

المنهزم عن شئ ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فحت فى أهلك ومالك .

ويحك إنك لم تصنع بتقديم البيضة ، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، وعلياء قومهم ، ثن ألق الصِّبا على متون الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك من ورائك ، وإن كانت عليك ، كنت قد أحرزت أهلك ومالك قال : لا واللّه ما أفعل إنك قد كَبُرَّت وَذَهِل عقلك .

قال " دريد " : هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتنى ثم أنشا يقول :

يـــا ليتنـــى فيهـــا جَـــزَع أحُـــبَ فيهـــا وأضـــع

أقـــود وطْفـــاء الزمـــع كأنـــه شـــاة صـــدع

وصية : قيس بن عاصم المنقرى " لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المنقرى بنيه فقال :

" يا بنى خذوا عنى ، فلا أحد أصلح لكم منى ، إذا دفنتمونى فانصرفوا إلى رحالكم ، فسوّدوا أكبركم ، فإن القوم إذا سوّدوا أكبرهم خلقوا أباهم ، وإذا سوّدوا أصغرهم أردى ذلك بهم فى أكفائهم ، وإياكم ومعصية اللّه ، وقطيعة الرحم وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم ، وجنة اللئيم ، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول اللّه (ﷺ) ينهى عنها ، وادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم " بكر بن وائل " بمدفنى، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام، وأخاف أن يُدخِلوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكل عرق لئيم

أن تلابسوه فإنه إن يسركم اليوم ، يسؤكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ، **ثم قال** :

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا فلن تبيد وللآباء أبناء

وصية أخرى

أمد " أبا بكر أبا عبيدة " بجيش عليه " عمرو بن العاص " فلما أراد الشخوص خرج معه " أبو بكر " – رضى الله عنه – يشيعه **وقال** :

" يا عمرو إنك ذو رأى وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب ، وقد خرجت مع أشراف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تئلهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود فى الحرب ، مبارك فى عواقب الأمور ، فقال له عمرو : ما أخلقنى أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ثم ودعه وانصرف .

وصيته لشرحبيل بن حسنة

ووجه " شرحبيل بن حسنة "وودعه فقال له : يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتى " ليزيد بن ابى سفيان " ؟ **قال** : بلى .

قال : فإنى أوصيك بخصال أغفلتُ ذكرهن " ليزيد " أوصيك بالصلاة فى وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعيادة المرضى ، وبحضور الجنائز وذكر الله كثيراً على كل حال .

وصيته لـ" أبى عبيدة بن الجراح "

ولما أراد أن يبعث " ابا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :

" اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به إنك تخرج من أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة أحسن صحبة من صّحِبك ، وليكن الناس عندك فى الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله معيناً ، وتوكل عليه وكفى بالله وكيلاً ، أخرج من غد إن شاء الله .

وصيته لـ " ابى عبيدة بن الجراح " أيضاً

فلما كان من الغد خرج " أبو بكر " – رضى الله عنه – يمشى فى رجال من المسلمين ، حتى أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه : " يا أبا عبيدة ، أعمل صالحاً ، وعش مجاهداً ، وتوف شهيداً يعطيك الله كتابك بيمينك ، ولا تقر عينك فى دنياك وآخرتك فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين المخبتين الزاهدين فى الدنيا ، الراغبين فى الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيراً ، وساقه إليك ، إذ جعلك تسير فى جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره .

وصية " أبى بكر " لـ " هاشم بن عتبة "

ولما سار " هاشم بن عتبة " ودعه " ابو بكر " – رضى الله عنه – وقال له :

" يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره وكنا ننتفع من الشاب بصبره ، وبأسه ونجدته ، وإن الله – عز وجل – قد جمع لك تلك الخصال كلها وأنت حديث السن ، مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

فقال هاشم : إن يرد الله بى خيراً يجعلنى كذلك ، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم اقتل إن شاء الله .

فقال له عمه " سعد بن أبى وقاص " – رضى الله عنه – : " يا ابن أخى لا تطعن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً ، وراجع إلى الله قريب ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدَّمته ، أو عمل صالح أسلفته .

فقال أى عم : لا تخالن منى غير هذا ، إنى إذاً لمن الخاسرين إن جعلت حلى وارتحالى وغدوى ورواحى وسيفى وطعنى برمحى وضربى بسيفى رياءً للناس ثم خرج فقدم على أبى عبيدة فتباشر بمقدمة المسلمين .

وصية أبى عبيدة للمسلمين

وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عَمُوَاس قد عمَّ أهل الشام (سنة ١٨ هـ) ومات فيه بشر كثير ومات فيه أبو عبيدة – رحمه الله – .

ولما طُعِنَ " أبو عبيدة " وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلما دخلوا عليه **قال** :

" إنى أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير ما بقيتم ، وبعدما تهلكون أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا وتصدقوا ، وحجوا واعتمروا وتواصوا وتحابوا واصدقوا أمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تلهكم الدنيا فإن امرؤ لو عَمَّرَ ألف حول ما كان له بِد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون وإن الله قد كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون وأكرمهم منهم أَطْوَعُهم لربه ، وأعلمهم ليوم ميعاده ، ثم قال :

" يا معاذ صَلِّ بالناس ، فصلى معاذ بالناس ومات أبو عبيدة – رحمه الله ".

وصية لـ " معاذ بن جبل "

ثم صلى ورجع إلى منزله فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طُعِن ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات يرحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه فلما رجع معاذ إلى منزله طعن فاشتد به وجعه ، وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم .

فقال لهم ، اعملوا وأنتم فى مهلة وحياة ، وفى بقية من آجالكم من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلاً وأنفقوا مما عندكم لما بعدكم قبل أن تهلكوا وَتَدَعُوا ذلك كله ميراثاً لمن بعدكم واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم وأنفقتم وأعطيتم فأمضيتم وما سوى ذلك فللوارثين .

وصية لمعاذ بن جبل أيضاً

وآتاه رجل فى مرضه فقال :

" يا معاذ علمنى شيئاً ينفعنى الله به قبل أن تفارقنى ، فلا أراك ولا ترانى ولا أجد منك خلفاً ثم لَعَلِّى أن أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعنى بعدك فلا أجد فيهم مثلك **فقال معاذ** : كلا إن صلحاء المسلمين – والحمد لله – كَثِيرُ ، ولن يضيع الله أهل هذا الدين ، **ثم قال له** : " خذ عنى ما أمرك ، كن من الصائمين بالنهار ومن المصلين فى جوف الليل ، ومن المستغفرين بالأسحار ، ومن الذاكرين الله على كل حال كثيراً ، ولا تشرب الخمر ، ولا تزنين ، ولا تَعُـق والديك ولا تأكل مال اليتيم ولا تفر من الزحف ، ولا تأكل الربا ، ولا تَـدِع الصلاة المكتوبة ، ولا تضيع الزكاة المفروضة ، وصل رحمك وكن بالمؤمنين رحيماً ، ولا تظلم مسلماً ، وحج واعتمر وجاهد ، ثم أنا لك زعيم بالجنة .

ومات رحمه الله ، وقد استخلف " عمرو بن العاص " فصلى عليه عمرو فلما دفنه **قال** : " رحمك الله يا معاذ فقد كنت – ما علمناك – من نصحاء المسلمين ومن خيارهم وأعلامهم ، ثم كنت مُؤَدباً للجاهل ، شديداً على الفاجر ، رحيماً بالمؤمنين – وأيم الله – لا يستخلف من بعدك مثلك .

وصية لـ " سعد بن أبى وقاص "

ولما أراد أن يسرِّحه دعاه فقال :

إنى قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعوّد نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فَعَتَادُ الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين:

فى طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ، ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وَزَامُّهُ فى الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ، فلا تزهد فى التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس فمن يشرع معك فى أمرك .

وصية أخرى لـ " سعد بن أبى وقاص "

وكتب " عمر بن الخطاب " إلى " سعد بن أبى وقاص " – رضى الله عنهما – ومن معه من الأجناد .

" أما بعد ، فإن آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى ، منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، إلا ننصر عليهم لفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا بأن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا

شر منا فلن يسلط علينا ، فرُبَّ قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل " لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشمهم سيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم (والسفر لم ينقص قوتهم) فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكُراع ، واقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها لأنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً ولا تستنصروه على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وطأت أرض العدو فأنك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل من الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خيره وإن صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عيناً لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم وتنقل الطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخير فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ولا تخفى بها أحداً بهون فتضيع من رأيك وأمرك ، أكثر مما أحببت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ، ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ، ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك وَمَقَاتِلَهُ ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه به ، ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤت بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

الدعـــــــــاء

وكان " أبو بكر " – رحمه الله – يدعو فى كل يوم غدوة وعشية فى دبر كل صلاة الغداة وبعد العصر يقول :

" اللهم إنك خلقتنى ولم نك شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولاً ، رحمةً منك لنا وفضلاً منك علينا ، فهديتنا وكنا ضُلالاَ ، وحببت إلينا الإيمان وكنا كُفْاراً ، وكَثْرتنا وكنا قليلاً ، وجمعتنا وكنا أشتاتاً ، وقويتنا وكنا ضعافاً ، ثم فرضت علينا الجهاد وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك ونجاهد أعدائك من عدل بك ، وعبد معك إلهاً غيرك ، تعاليت عما يقولون علواً كبيراً ، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحاً كبيراً ، وانصرهم نصراً عزيزاً ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهم شجع جُنوبهم ، وثبت أقدامهم وزلزل بعدوهم وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شاقتهم ، واقطع دابرهم ، وأَبِدْ خضرائهم ، وأورثنا أرضهم ، وديارهم وأموالهم ، وكن لنا ولياً ، وبنا جَنِيّا ، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضائنا وتبعاتنا واجعلنا لأنْعُمِكَ من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين ، والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم .

ما قال " ربقعى بن عامر " عند رستم " قائد جيش الفرس "

وأرسل " رستم " قائد جيش الفرس إلى " سعد بن أبى وقاص " أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا فبعث إليه " ربعى بن عامر " فلما انتهى إليه قال له الترجمان واسمه " عبود " من أهل الحيرة : ما جاء بكم ؟ قال :

" اللّه ابتعثنا ، واللّه جاء بنا ،لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللّه ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دُونَنَــا ومن أبى قاتلناه أبدا ، حتى نفضِى إلى موعود اللّه قال : وما موعود اللّه ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى .

وصية علىّ لـ " قيس بن سعد "

ولما قتل عثمان – رضى اللّه عنه – وولى " على بن أبى طالب " الأمر دعا قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى وولاه مصر عام ٣٦هـ وقال له :

" سر إلى مصر فقد ولّيتكها ، واخرج إلى رحلك واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء اللّه فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وأرفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يُمن .

وصيته لـ " أسامة بن زيد "

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى " أبْنَىّ "[1] ، فقال :

" يايها الناس : قِفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تَغلّوُا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تقعروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجراً مثمراً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تُقْدِمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شئ فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله " .

١- وصيته لـ " عمرو بن العاص والوليد بن عقبة "

وطيّع " عمرو بن العاص والوليد بن عقبة " مبعثهما على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة :

" اتق الله فى السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، إنك فى سبيل من سبل الله ، لا يسعك فيه الإدهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تَئِنِ ، ولا تفتر " .

1 - أبنى : موضع بقرب مؤته بمشارق الشام قتل فيه والده " زيد بن حارثة " .

Obeikandl.com

٢- وصيته لـ " خالد بن الوليد "

ووصى " أبو بكر " خالد بن الوليد فقال :

" سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً من الحملة فإنى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدِلاّء ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن فى العرب غِرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وعى عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكِلْهم إلى الله فى سريرتهم وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه " .

وصية " خالد بن سعيد بن العاص " لـ " أبى بكر "

ولما أراد " خالد بن سعيد بن العاص " أن يغدو سائراً إلى الشام ، لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، عمراً والحكم وأبان ، وغلمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبى بكر – رضى الله عنه – بعد صلاة الغداة وصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله " خالد " وأثنى عليه وصلى على النبى(ﷺ) **ثم قال :**

" يا أبا بكر إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طُرَّاً بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأمات البدعة ، وعدل فى السيرة ، الوالى على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالى أعم نفعاً ، فاتق الله يا أبا بكر " فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم وأعن الضعيف المظلوم ، ولا يَكُ رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك فى الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب ما غضبت على ذلك فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع

فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدواً ، ومن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالى الرعية ، وعادت الرعية الوالى كان ذلك قمناً أن يكون إلى هلاكهم داعياً ، وكن لينا للمحسن ، واشدد على المريب ، ثم قال : هات يدك فإنى لا أدرى هل نلتقى فى الدنيا بعد هذا اليوم ؟

فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ، وإن كانت هى الفرقة التى ليس بعدها التقاء ، فعرفنا الله وإياه وجه النبى (ﷺ) فى جنات النعيم فأخذ " أبو بكر " – رضى الله عنه – ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة .

وصية " أبى بكر " لـ " خالد بن سعيد بن العاص "

فلما خرج من المدينة قال له " أبو بكر " – رضى الله عنه – :

"إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيته ، وأنا موصيك فاستمع وصيتى وَعِها إنك امرئ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك نية لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبت العالم ، وعلم الجاهل وعاتب السفيه ، المترف وانصح لعامية المسلمين ، واخصص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله والمسلمين عليك ، واعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى ، واعلم أن عما قليل ميتون ، ثم موروثون ثم مساءلون ومحاسبون جعلنا وإياك لأنعمه من الشاكرين والنقمة من الخائفين ، ثم أخذ يدعو وودعه " .

وصية أبى بكر لـ " عمرو بن العاص "

ولما أجمع أبى بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله " عمرو بن العاص " وخرج " أبو بكر " يمشى إلى جنب راحلة " عمرو بن العاص" وهو يوصه ، ويقول :

" يا عمرو اتق الله فى سر أمرك وعلانيته ، واستحيه فإنه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمى إياك على من هو أقدم منك ، ومن كان من أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلانيتهم ، وكن مُجِدّاً فى أمرك واصدق اللقاء إذا لاقيت ولا تجبن ، وتقدم فى العلوم ، وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك .... وصية له طويلة " .

وصية " أبى بكر " لـ " عمر " – رضى الله عنهما – عند موته

إنى أستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلى الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً

راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمُعجزٍ له " .

وصية " عمر " لـ " أبى عبيد بن مسعود "

وتقدم عمر إلى أبى عبيد بن مسعود فقال :

" إنك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشر فعلموه ، وتناسو الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ولا تُفشي لنا سرك فإن صاحب السر ما ضبطه فتحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعته كان بمضيعة " .

وصيته لـ " سعد بن أبى وقاص "

وصى سعد بن أبى وقاص حين أمَّره على حرب العراق فقال :

" يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (ﷺ) وصاحب رسول الله ، فإن الله – عز وجل – لا يمحو السئ بالسيئ ولكنه يمحو السئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى (ﷺ) منذ بُعِثَ إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه غُطَّتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين " .

وصية "العباس بن عبد المطلب(المتوفى ٣٢هـ)"لـ ابنه عبد اللّه

قال عبد اللّه بن عباس " قال لى أبى :

" يا بنى إنى أرى أمير المؤمنين – يعنى عمر بن الخطاب – قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار، وإنى موصيك بخلال أربع : لا يجربن عليك كذبا ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سراً ، ولا تَطْوِ عنه نصيحة ، قال : فقلت يا أبه .

كل واحدة منها خير من ألف . فقال : كل واحدة منها خير من عشرة آلاف .

وصية عمر لـ " الخليفة من بعده "

وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال :

أوصيك بتقوى اللّه لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رِدْء العدو وجباة الفئ ، لا تحمل فيئهم ، إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنهم أهل العرب ، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يدٍ وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى اللّه وشدة الحذر منه ، ومخافة أن يطلع منك على ريبة ، وأوصيك أن تخشى اللّه فى الناس ، وتخشى الناس فى اللّه وأوصيك بالعدل فى الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تُــؤْثِر غنيهم على فقيرهم ، فإن ذلك بإذن اللّه سلامة لقلبك ، وحط لوزرك ، وخير فى عاقبة أمرك حتى تفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويحول بينك وبين قلبك ، وآمرك أن تشتد فى أمر اللّه ، وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ، ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه ، مثل ما انتهك من حرمة اللّه ، واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى اللّه لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك اللّه ، فما أفاء اللّه على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك

من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة وأنت إلى الآخرة جد قريب ، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسى وولدى ، فإن عملت بالذى وعظتك وانتهيت إلى الذى أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهمك ولم تنزل معاظم الأمور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاضاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فأوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخُض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجلل كبيرهم ، وراحم صغيرهم ، ووقر عالمهم، ولا تَـــضُر بهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفئ فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمّرهم فى البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم ، هذه وصيتى إياك وأشهد الله عليك ، واقرأ عليك السلام .

وفى رواية الطبرى :

قال : " وأوصى الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب فإنها مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع فى فقرائهم ، وأوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله (ﷺ) أن يوفى لهم بعدهم ، اللهم هل بلغت ؟

تركت الخليفة من بعدى على أنقى من الراحة .

وصية شريح بن هانئ لـ " ابى موسى الأشعرى "

ولما أراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هانئ الحارثى فأخذ بين يديه وقال :

" يا أبا موسى : إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ، ولا تقال فلتته ومهما من شئ لك أو عليك ، يثبت حقه ، ويرى صحته وإن كان باطلاً ، وإنه لإبقاء أهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن مَلْكهم علىّ ، وقد كانت منك تثبيطه ، أيام الكوفة والجمل ، فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا والرجاء منك يأساً ثم قال :

أبا موسى : رُميت بشر خصم ... فلا تضع العراق(فدتك نفسى)
وأعط الحق شامهم وخذه ... فإن اليوم فى مهل كأمس
وإن غداً يجيئ بما عليه ... كذاك الدهر من سن ونحس
ولا يخدعك عمرو إن عمراً ... عدو الله مطلع كل شمس
له خدعُ يحار العقل منها ... مموّهة مزخرفة بلبس
لا تجعل معاوية بن حرب ... كشيخ فى الحوادث غير نكس
هداه الله للإسلام فرداً ... سوى عرس النى وأى عرس؟

فقال أبو موسى : " ما ينبغى لقوم اتهمونى أن يرسلونى لأدفع عنهم باطلاً أو أَجُرَّ إليهم حقاً " .

وصية الأحنف بن قيس لـ " أبى موسى الأشعرى "

ولما حُكم أبو موسى الأشعرى أتاه الأحنف بن قيس فقال له :

" يا أبا موسى : إن هذا مسير له ما بعده ، من عز الدنيا أو ذلها آخر الدهر ادع القوم إلى طاعة علىّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن العاص أن تصافحه بنيّة ، وأن يقعدك على صدر المجلس فإنها خديعة وأن يضمك

وإياه بيت فيكمن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار فالبادئ مستغلق والمجيب ناطق ،" .

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان فلقيه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : " أدخل والله قدميك فى خفّ واحدة " .

وصية معاوية لـ " عمرو بن العاص "

١- وقال معاوية لعمرو :

"إن أهل العراق أكرهوا عليّاً على أبى موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك وأرجو فى دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأى ، وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فإذا هو قال فاصمت ، واعلم أن حسن الرأى زيادة فى العقل ، إن خوّفك بالعراق فخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر فخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً فخوفه بمعاوية ، وإن أتاك بالجميل فأته بالجميل .

٢- رد عمرو بن العاص عليه :

" يا أمير المؤمنين : أقلل الاهتمام بما قبلى ، وَارْجُ الله تعالى فيما وجهتنى له إنك من أمرك على مثل حد السيف ، لم تنل فى حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبى موسى ديناً وإن الدين منصور ، أرأيت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ " فقال معاوية : " قل ما تريد وترى " .

وصية معاوية لـ " عمرو بن العاص "

١- وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبعثه فى ستة آلاف رجل ، وخرج وودعه وقال له عند وداعه إياه :

" أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُمُن ، وبالمهل والتُؤدة ، لإن العجلة من الشيطان ، وبأن تَقْبل ممن أقبل ، وأن تعفو عمن أدبر ، فإن قبل فبها وَنِعمت وإن أبى فإن السطورة بعد المعذرة أبلغ فى الحجة ، وأحسن فى العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آخر الناس عندك وكلّ الناس فأولِ حُسنا " .

الرثـــاء

رثاء " معاذ بن جبل " لـ " أبى عبيدة "

" رحمك الله يا أبا عبيدة ، فوالله لأثنين عليك بما علمت ، والله لا أقول باطلاً ، أخاف أن يلحقنى من الله مقت كنت والله – ما علمت – من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، وكن والله من المخبتين المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجفاة المتكبرين " .

ولم يكن أحد من الناس كان أشد جزعاً على فقد " أبى عبيدة " وعلى موته ولا أطول حُزْناً عليه من " معاذ بن جبل " .

المقال

مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

" يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين تُلْقِحُها وننتجها قد ضار سقنا وضار سناها ، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ، ورأى مجرَّب ، وبأس محمود وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شرّقت شرقنا ، وإن غرّبتَ غربنا وما أمرتنا به من أمر فعلنا " .

فقال عَلِىّ رضى الله عنه : أكل قومك يرى مثل رأيك ؟ قال : ما رأيت منهم إلا حسنا ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له علىّ رضى الله عنه خيراً .

مقال هاشم بن عتبة

وقال " زياد بن النضر الحارثى " لـ " عبد الله بن بديل الخزاعى " :

إن يومنا عَصِيب، ما يصبر عليه إلا كل مشبع القلب ، صادق النية ، رابط الجأش ، وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منهم ولا منا إلا الرُّذال ، فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً رضى الله عنه ، فقال لهما :

" ليكن هذا الكلام مخزوناً فى صدوركما ، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتيه منيته كما كتب الله له فطوبى للمجاهدين فى سبيله ، والمقتولين فى طاعته ، فلما سمع"هاشم بن عتبة " ما قالاه أتى علياً رضى الله عنه فقال :

" سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم والذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا فى عباد الله ، بغير رضا الله فأحلوا حرامه ، وحرموا حلاله ، واستهوى بهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ، ومناهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصد بهم قد الردى ، وحبب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ، كرغبتنا فى الآخرة ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله(ﷺ) رحما ، وأفضل الناس سابقة وقدماً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى تعلم ، ولكن كتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين ، لأن ايدينا مبسوطة بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرحة لك بذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك جزلة ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أقلت ، ولا ما تحت السماء فما أظلت ، وأنى واليت عدواً لك ، وعاديت ولياً لك " .

فقال على رضى الله عنه :" اللهم ارزقه الشهادة فى سبيلك والموافقة لنبيك "

.

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- السنة النبوية المطهرة .
٣- أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى إلى آخر القرن الرابع الهجرى تأليف / محمد زغلول سلام ، القاهرة ١٩٥٢م .
٤- الأصل والبيان لمعرّب القرآن ، تأليف / حمزة فتح الله ، مصر ، طبعة مصر .
٥- أوائل السور فى القرآن الكريم ، تأليف / على نصوح الطاهر ، عمان ١٩٥٤م .
٦- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، تأليف / أبى الأعلى المودودى (تعريب محمد عاصم الحداد) دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
٧- الإسلام والتكافل المادى فى المجتمع، تأليف/ حسن خالد، بيروت ١٩٥٩ م .
٨- الإسلام والديموقراطية ، تأليف / أبى الأعلى المودودى ، دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
٩- الإسلام والعلاقات الدولية (فى السلم والحرب) تأليف / محمود شلتوت القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
١٠- إعجاز القرآن تأليف / أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، تحقيق / أحمد صقر ، القاهرة ١٩٤٥م .
١١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تأليف / مصطفى صادق الرافعى ط محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٤٥م .

obeikandi.com

١٢-اشتراكية الإسلام ، تأليف الدكتور / مصطفى السباعى ، دمشق ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .

١٣-الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ .

١٤-السياسة الإسلامية فى عهد النبوة ، تأليف / عبد المتعال الصعيدى القاهرة .

١٥-القصص الفنى فى القرآن ، تأليف / محمد خلف الله ، ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٧م .

١٦-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى مصر (بولاق) ١٢٨١هـ .

١٧-اللغات فى القرآن ، لأبى محمد إسماعيل بن عمرو الحداد (صلاح الدين المنجد) القاهرة (مطبعة الرسالة) ١٩٤٦م .

١٨-المفردات فى غريب القرآن للراغبى الأصفهانى ، القاهرة ، البابى الحلبى .

١٩-المتوكل فى ما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية ... إلخ ، للسيوطى ، دمشق ، مكتبة القدسى والبدير ١٣٤٨هـ .

٢٠-المعاهدات والمحالفات فى عهد الرسول ، تأليف / حسن خطاب الوزير القاهرة ١٩٣٠م .

٢١-النفاق والمنافقون فى عهد رسول الله ، تأليف / إبراهيم سالم ، القاهرة ١٩٤٨م .

٢٢- النشر فى القراءات العشر لشمس الدين محمد بن محمد الجزرى ، دمشق مطبعة التوفيق ١٣٤٥هـ .

openkandil.com

٢٣- بين الإسلام والنظم المعاصرة ، تأليف / أبى الأعلى المودودى .

٢٤-تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب لأبى حيان الأندلسى ، حماة مكتبة عنوان النجاح ١٣٤٥هـ .

٢٥- تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه بالفرنسية (جول لابوم) ونقله إلى العربية / محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .

٢٦- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، أحمد صقر ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م .

٢٧- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، تأليف / محمد بن إبراهيم بن الوزير ، القاهرة ١٩٣١م .

٢٨- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن لمحمد بن جرير الطبرى (محمود محمد شاكر) ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٧٤ هـ - ١٣٧٨هـ .

٢٩- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، بلا تاريخ .

٣٠- عصر النبى وبيئته قبل البعثة ، تأليف / هبة الدين الحسنى الشهرستانى بغداد ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

٣١-غريب القرآن للجستانى ، مصطفى عنانى ، القاهرة ، المطبعة الرحمانية ١٩٤٢ .

٣٢- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن ، تأليف كرديب على زاده فياض الله الحسنى المقدسى ، بيروت ١٣٣٢هـ .

٣٣- قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد ، تأليف / محمد جمال الدين سرور ، القاهرة ، الخانجى ١٩٣٠م .

٣٤- كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ، مختصر من سيرة ابن هشام وغيرها تأليف / محمود سامى البارودى ، القاهرة ١٣٥٥هـ .

٣٥- مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى – محمد فؤاد سزكية ، القاهرة الخانجى ١٩٥٤م .

٣٦- مشاهد القيامة فى القرآن ، تأليف / سيد قطب ، القاهرة ١٩٤٧م .

٣٧- مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرى (عنى بطبعه / أحمد عارف الزين صيدا ، مطبعة العرفان ١٩٣٦م .

٣٨- من بلاغة القرآن ، تأليف / أحمد أحمد بدوى ، القاهرة ١٩٥٠م.

٣٩- من توجيهات الإسلام لفضيلة الأستاذ شيخ الأزهر / محمود شلتوت القاهرة ١٣٧٩هـ -١٩٥٩م .

٤٠-نظرية الإسلام الخلقية ، تأليف / أبى الأعلى المودودى ، دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

٤١-نجوم الفرقان فى أطراف القرآن (ترتيب فرغلى) .

obeikandl.com